الفصل الرابع

فقدان التوازن الجوي والعقوبات ضد إيطاليا وإعلان هتلر إنشاء السلاح الجوي الألماني

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تشرشل :

لم تكن ألمانيا تعتقد أن في إمكانها إعادة تسليح جيشها تسليحًا كاملاً متفوقًا قبل عام ١٩٤٣، إلا أن الاكتشافات العلمية الحديثة، وخاصة اختراع الآلة ذات الاندفاع الداخلي، وتقدم فن الطيران، جعلاً من مسألة التفوق العسكري والقوة العسكرية أمرًا يتوقف على جهود الدولة في ميدان العلم والمعرفة. وكانت ألمانيا تتمتع بإمكانات ضخمة في هذه الميادين، فتمكنت ألمانيا من خلق هيكل سلاح جوي في الجيش، بعد أن كان محرومًا من هذه القوة الجوية الهامة، ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت أمام أعيننا الحقيقة المرعبة فقد توصل هتلر إلى الرقم المعادل في عدد الطائرات، الذي وصلت إليه بريطانيا، ولم يتبق عليه إلا أن يصدر أوامره بزيادة الإنتاج والإسراع به كي يرفع من مستوى الطائرات الموجودة ويحسنها، وأصبحت لندن مهددة من الجو، ووجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة الثابتة في جميع القرارات التي نتخذها، إذ لم يعد في إمكاننا اللحاق بألمانيا، إلا أننا بذلنا مجهودات ضخمة جبارة، وحلقت في سماء العاصمة طائرات «الهاريكين» و «السبيتفاير» في عام ١٩٣٥م، إلا أن العدد لا يزال ضئيلاً، وعندما نشبت الحرب شعرنا بتفوق السلاح الجوي الألماني الذي بلغ بمجموعه ضعف سلاحنا الجوي الملكي.

وفي اليوم التاسع من شهر آذار عام ١٩٣٥ أعلن هتلر بصورة رسمية إنشاء السلاح الجوي الألماني، كما أعلن عن التجنيد الإجباري في جميع البلاد، وفي نفس الوقت أعلنت فرنسا تمديد مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين، وشرعت ألمانيا في تنظيم جيشها على أسس حديثة، كما أصبح الجيش تابعًا للفوهرر مباشرة، وغدا القائد الأعلى له، وأصبح على كل جندي أن يحلف يمين الولاء لهتلر لا للدستور، كما أصبحت وزارة الحربية تابعة لأوامره مباشرة، واتخذت الإجراءات اللازمة لتدريب الشباب الألمان، فما أن ينشأ الولد حتى ينضم إلى شبيبة هتلر التي تضم جميع أولاد ألمانيا، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الحرس النازي بعد أن يبلغوا سن الثماني عشرة ويعملوا فيه لمدة سنتين. وعندما يصبح الشاب في سن العشرين يفرض عليه تأدية الخدمة العسكرية لمدة ستة أشهر يقضيها في شق الطرق وبناء المعسكرات وتجفيف المستنقعات، وبعد ذلك ينتقل للعمل مع القوات المسلحة.

وفي الخامس عشر من تشرين الأول عام ١٩٣٥ افتتح هتلر كلية أركان الحرب الألمانية، وبدأ بذلك الإعداد الكبير لتدريب الجيش وتوسيع صفوفه .. كما استدعيت الفئة الأولى من مواليد عام ١٩١٤ للخدمة العسكرية حيث تقرر إعداد وتدريب ٥٩٦ ألف رجل على فنون القتال، وهكذا قفز رقم الجيش الألماني إلى ٧٠٠ ألف رجل، إلا أن هذه الأرقام المخيفة لم تبلغ بعد عدد وقوة الجيش الفرنسي واحتياطيه الكبير، وكان بالإمكان حتى هذا التاريخ اتخاذ أي قرار من جانب عصبة الأمم لوقف هذه العمليات الرهيبة المخالفة لمعاهدات الصلح واتفاقاته، كما كان بالإمكان تقديم ألمانيا إلى المحاكمة أمام هيئة دولية، تقدم فيه بيانًا عن تسلحها وتسمح للجان الحلفاء بالتحقيق في هذه الأوضاع، أما في حالة رفضها الإذعان لهذه الإجراءات، تقوم الجيوش الحليفة باحتلال جميع المنافذ والمعابر على نهر الراين حتى يضمن الحلفاء تنفيذ ألمانيا لتعهداتها، وبذلك يصبح بالإمكان تأجيل وقوع الحرب العالمية الثانية إلى أجل غير مسمى ...

❖ ❖ ❖

الضربة الثانية للسلام:

يقول تشرشل :

كانت الضربة الثانية للسلام العالمي، بعد خسارة بريطانيا للتعادل الجوي، حين انتقلت إيطاليا إلى جانب ألمانيا، وبذلك تمكن هتلر من التقدم في طريقه نحو القتال. فبعد أن ساعد موسوليني النمسا على الحفاظ على استقلالها، قرر أن ينتقل إلى الجانب الآخر، ولم تعد ألمانيا وحيدة في الميدان العسكري بفضل أطماع ديكتاتور إيطاليا لتوسيع رقعة إمبراطوريته التي شرع في إنشائها.

وقد ظهرت جلية استعدادات موسوليني لاحتلال الحبشة، بعد مؤتمر ستريزا، وكان من الواضح أن الرأي العام البريطاني سيعارض مثل هذا الاعتداء الصارخ، كما أن البعض كان يجد في هذه المعارضة تشجيعًا لإيطاليا في المضي نحو ألمانيا، خاصة وهي الدولة المعتبرة من الدول الكبرى، فبانضمامها إلى ألمانيا ستخسر بريطانيا حليفًا مهما.

ولا أزال أذكر الحديث الذي جرى بيني وبين المستر دف كوبر حول هذا التبدل في الميزان الأوروبي الذي جاء معاكسا لمصالحنا، وقد اقترح البعض أن نؤلف وفدًا لمقابلة موسوليني يشرح له النتائج التي ستؤدي إليها حركته في بريطانيا. وبالطبع لم يؤلف هذا الوفد، فلم يكن هذا سيؤدي إلى أي نتيجة، فقد كان موسوليني يعتقد أن بريطانيا أصبحت عجوزًا ضعيفة لا تستطيع القيام بأي عمل حربي عدا الصراخ والضجيج.

وكانت وجهة نظري في هذه المسألة هي في حمل القضية إلى عصبة الأمم ضد إيطاليا، ومطالبة فرنسا بتأييدنا، إلا أنني حذرت من الضغط عليها، وذلك بسبب ارتباطاتها مع إيطاليا، وانشغالها في المشكلة الألمانية. كما أنني نصحت بعدم تزعم هذه القضية والتحمس لها، وذلك بسبب خوفي من ألمانيا ومن الأوضاع التي وصلت إليها أجهزتنا الدفاعية ... إلا أن الحكومة وقفت موقفًا مكشوفًا وصرحت بأن بريطانيا ستقف إلى جانب التزاماتها وإلى جانب ميثاق عصبة الأمم، وسافر بعد ذلك وزير الخارجية إلى جنيف ليجمع تأييد الدول الأعضاء في عصبة الأمم لفرض عقوبات على إيطاليا، إذا هي قامت بضرب الحبشة، وكانت هذه العقوبات تعني قطع المساعدات المالية، والمواد الاقتصادية عن إيطاليا، وتزويد الحبشة بها. وكانت هذه العقوبة شديدة الخطورة على إيطاليا التي تعتمد على استيراد البضائع التي تحتاج إليها في الحرب، من الخارج.

وفي الثاني عشر من شهر أيلول وصلت البارجتان البريطانيتان «هود» وريناون» إلى جبل طارق بالإضافة إلى سرب من الطرادات والمدمرات. كما اتخذت عصبة الأمم قرارًا بأغلبية خمسين صوتًا يقضي باتخاذ إجراءات جماعية ضد إيطاليا، وعينت لجنة قوامها ثمانية عشر عضوًا لتقوم بمحاولة أخيرة للوصول إلى حل سلمي، وعندما أصدر موسوليني بيانه التاريخي بقوله: «إن إيطاليا ستواجه العقوبات بالنظام والاقتصاد والتضحية» إلا أنه أضاف أن إيطاليا إذا وجدت أن هذه العقوبات ستعرقل برنامجه لغزو الحبشة فسيشن الحرب على كل دولة تقف في طريقه، وقد أضاف معلقًا على قرار عصبة الأمم بقوله: «خمسون دولة، نعم هذه الدول كلها تقودها دولة واحدة!

❖ ❖ ❖

موقف بريطانيا من سفك الدماء:

يقول تشرشل :

عدة حوادث غيرت مواقف بريطانيا هي :آثار سفك الدماء في إبسينيا ، والكراهية للفاشية وتطبيق العقوبات من قبل عصبة الأمم، هياج الطبقات العاملة في بريطانيا ، وحزب العمال البريطاني ، ولم يكن النقابيون وعلى رأسهم المستر أرنست بيفن ميالين إلى المهادنة والسلام ، واجتاحت الرغبة العازمة في محاربة الدكتاتور الإيطالي ، وتطبيق أقصى العقوبات عليه ، وتدخل الأسطول البريطاني إذا لزم الأمر ، وكان عدد كبير من أعضاء مجلس العموم يشاطر النقابات رأيها في هذا الصدد . واستقال مستر لانسبوري من رئاسة الكتلة البريطانية لحزب العمال ، وتولى الميجور أتلي الرئاسة خلفًا له .

وفي هذا الوقت حل البرلمان وأجريت انتخابات جديدة ، وأعلن رئيس الوزراء أن العقوبات تعني أولاً الحرب لكنه كان مصممًا على ألا تكون هناك الحرب ، إلا أنه مصمم في نفس الوقت على العقوبات ، وتجنبت عصبة الأمم ، بطلب من بريطانيا ، فرض العقوبات خوفًا من استفزاز إيطاليا وإكراهها على الحرب ، فاكتفت بمنع بعض السلع من الوصول إلى إيطاليا وإكراهها على الحرب ، فاكتفت بمنع بعض السلع من الوصول إلى إيطاليا وبعض المواد الحربية ، ولم تقطع الزيت عنها واستمر في الوصول إليها بكل حرية ، إذ أن قطعه يعني الحرب بصورة قاطعة ، وكان من جملة السلع الممنوعة ، تصدير الألومنيوم . إلا أن هذا المعدن كانت إيطاليا تتجه بشكل ضخم يفوق حاجاتها . وبالإجمال كانت العقوبات المفروضة لا تعتبر عقوبات بالمعنى الصحيح ، يقصد منها شل حركة المعتدين ومنعهم من العدوان .

أما بالنسبة لبريطانيا فقد كان بإمكانها منع إيطاليا من المرور في قناة السويس ، وأن تخوض معركة بحرية من الأسطول الإيطالي ، بالرغم من أن بوارجنا كانت قديمة ، وأن الأسطول يفتقر إلى المدافع المضادة للطائرات كما يفتقر إلى الغطاء الجوي الضروري ، إلا أنه باستطاعتنا قطع الإمدادات والمواصلات الإيطالية مع الحبشة ، وكنت واثقًا من أن موسوليني لم يكن ليجرؤ على الاشتباك مع قواتنا ، فقد كان العالم كله ضده في ذلك الوقت ، وكان من المنتظر أن يتعرض حكمه للخطر ، في حالة خوضه غمار الحرب مع بريطانيا ، ومع أنني كنت أعارض فكرة القيام بأي عمل فردي تقوم به بريطانيا ، إلا أننا قد قطعنا شوطًا

بعيدًا في هذه المرحلة ، ومن العار أن تتراجع الآن، لكن الحقيقة كانت ظاهرة في حب الحكومة الحاضرة للسلام والحفاظ عليه، هذا الحب الذي جر العالم في حرب أكثر فظاعة .

❖ ❖ ❖

نتائج سقوط البلاد الحبشية:

يقول تشرشل :

أدى سقوط البلاد الحبشية وضمها إلى الممتلكات الإيطالية ، إلى نتائج إيجابية في ألمانيا ، فقد بدا الإعجاب بموسوليني وطريقته الفذة السريعة التي أنهت فيها إيطاليا الحملة على الحبشة ، وكان الرأي العام السائد أن بريطانيا خرجت من هذه الأزمة مقهورة ضعيفة ، وقال أحد ممثلينا في بلغاريا : «إن إشارات الاحتقار لبريطانيا أصبحت ظاهرة سافرة في جميع الأوساط . وهذا مما جعل ألمانيا تتصلب في مواقفها للتفاوض لإيجاد تسوية في أوروبا الغربية وتسوية أكبر لجميع الشؤون الأوروبية والعالمية ، وكانت هذه الأقوال صحيحة تمامًا ، فقد تولت حكومة جلالته ، دون تفكير بالأمر ، زعامة خمسين دولة للتعبير عن الشجاعة لوقف إيطاليا عند حدها ، وما إن واجهت الحقائق القاسية حتى تراجعت الحكومة عن موقفها الشجاع وتخاذلت ، وبذلك أصابت عصبة الأمم بخيبة أمل كبيرة وألحق بها أشد الأضرار .

❖❖❖

obeikandl.com